

أثر الحرب على خصوبة المرأة اللبنانية

محمد فاعور

الجامعة الأميركية - بيروت

مقدمة

أحدثت دورة العنف في لبنان متغيرات أساسية في بنية المجتمع اللبناني تاركة آثارها المباشرة وغير المباشرة في كل مدينة وقرية وشارع. والمرأة اللبنانية، كما الرجل والطفل والأسرة، عصفت بها رياح الحرب المتواصلة بجنون، وفرضت عليها وقائع جديدة في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية التي أثرت كل منها وتأثرت بالأوضاع السياسية والأمنية. فاقصاديا، يعاني المجتمع اللبناني منذ أوائل 1984 من وضع شديد الصعوبة بعد أن تكبدت القطاعات الاقتصادية المختلفة، الزراعة والصناعة والتجارة والخدمات، خسائر جسيمة - بسبب استمرار الأوضاع المضطربة سياسيا وأمنيا - في المجالين الاجتماعي والديموغرافي، وأفرزت سنوات الحرب مشاكل مستعصية أبرزها التهجير القسري من منطقة إلى أخرى داخل لبنان الذي طال مئات الآلاف من السكان، وهجرة الشباب والأسر إلى الخارج، ومشاكل الإسكان والجريمة.

لقد أثرت هذه المتغيرات الموضوعية في حياة وسلوك المرأة في لبنان، على وجه العموم، وفي العاصمة بيروت، على وجه الخصوص. وخصوصية بيروت الكبرى - كمدينة إدارية تشمل في هذه الدراسة بيروت الغربية وبيروت الشرقية والضاحية الجنوبية - أنها كانت أكثر المناطق اللبنانية تعرضا للعنف والمعارك منذ بداية الأحداث الدامية عام 1975 (كما سنبين لاحقا بالأرقام)، وربما أشدها تأثرا بالنتائج السلبية للحرب على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والديموغرافية. وهذا ما دفعنا إلى البحث في ارتباط ذلك بجوانب من السلوك الاجتماعي للمرأة وتحديدًا بخصوبتها. ولا يخفى ما للخصوبة البشرية من أثر في نمو المجتمعات فضلا عن أهميتها الخاصة في لبنان حيث تتفاوت مستويات الخصوبة بين الطوائف الدينية في بلد وزعت فيه المناصب السياسية

الرئيسة عند اعلان الاستقلال على أساس الحجم السكاني لهذه الطوائف (Chamie, 1981).

البيانات الاحصائية

ان دراسة اثر الحرب على الخصوبة البشرية يتطلب مقارنة بيانات احصائية سليمة وعائدة على الاقل لنقطتين زمنيتين : الاولى قبل بداية الحرب، والثانية بعد مرور فترة زمنية كافية لاستحداث التغيير المتوقع. في هذا البحث، نستخدم بيانات ذات نوعية جيدة⁽¹⁾ عائدة للاعوام 1970، 1971، 1984 و 1985. وهي بيانات مستقاة من أربعة مسح بالعينة : الاول اجرته وزارة التصميم العام في كل محافظات لبنان عام 1970 تحت عنوان «بحث القوة العاملة»، والثاني مسح للخصوبة في كل لبنان قامت به جمعية تنظيم الاسرة عام 1971، والثالث مسح صحي لمدينة بيروت أشرفت عليه الجامعة الاميركية أواخر 1983 وأوائل 1984، أما المسح الرابع فهو ديموغرافي تربوي نفذته مؤسسة الحريري في شباط 1985، ويشمل الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت ومحافظة الشمال والبقاع.

تتناول البيانات أربع مناطق جغرافية - ادارية : مدينة بيروت، ضاحية بيروت الجنوبية، محافظة الشمال، ومحافظة البقاع، وذلك في نقطتين زمنيتين هما 1970 و 1985. وللخصوبة البشرية في هذه البيانات مقياسان : الاول هو معدل المواليد المنمط للامم المتحدة الذي يستند الى معدلات تغطية للخصوبة حسب العمر قامت بتحديددها الامم المتحدة (Shryock & Siegel, 1980). وهذا المعدل أكثر دقة لدراسة المتغيرات الجغرافية والزمنية للخصوبة من معدل المواليد الأولى لأن هذا الاخير يغفل توزيع السكان حسب العمر والجنس مع ان كليهما يدل على عدد المواليد لكل 1000 نسمة في سنة محددة. المقياس الثاني للخصوبة هو معدل الخصب الاجمالي للمتزوجات الذي يعبر عن عدد المواليد لكل 1000 امرأة متزوجة في سنة محددة استنادا الى معدلات الخصوبة حسب العمر في تلك السنة. وهذا المقياس هو في هذه الدراسة المتغير التابع. أما المتغيرات المستقلة فهي، أولا : المستوى الاقتصادي - الاجتماعي للمنطقة ويمثله معدل الأمية بين الراشدين. ونعرف هذا المعدل هنا بأنه نسبة النساء من ذوى الاعمار 20 فأكثر اللواتي لم يتمكن المرحلة الابتدائية. ثانيا : حدة العنف في الحرب وقد قيست بنسبة القتل والجرحى والمخطوفين الى عدد السكان في كل منطقة خلال الفترة 1975 - 1985. وبالإضافة الى هذين العاملين هناك عوامل أخرى سنتحدث عن أهميتها في متن البحث دون أن ندرجها ضمن البيانات.

الاطار النظري والفرضيات

تؤثر عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الخصوبة بصورة غير مباشرة عن

طريق التأثير في عدد من العوامل الوسيطة التي يغلب عليها الطابع البيولوجي وأبرزها معدل الزواج وسن الزواج واستعمال وسائل منع الحمل والارضاع الطبيعي (Bongaarts, 1985). وتضم عوامل التنمية التحضر والتصنيع ورفع مستوى التعليم وتحسين الاحوال الصحية والمعيشية وخفض معدلات وفيات الاطفال ورفع مكانة المرأة الاجتماعية ومشاركتها في العمل المأجور (Easterlin & Crimmins, 1985). كما يؤكد بعض الباحثين على دور خدمات تنظيم الاسرة في توعية المرأة وتسهيل حصولها على موانع الحمل (Mauldin & Berelson, 1978).

لدى تطبيق هذه النظريات على المجتمعات العربية تبين ان معظم عوامل التنمية المذكورة آنفا لا تؤثر بمعدلات الانجاب. فالتحضر ونصيب الفرد من الناتج القومي، وانخفاض معدلات الوفيات، واستيراد البضائع الاستهلاكية الحديثة من الغرب، وتوسيع شبكة الاتصال والاعلام وربطها بالعالم الغربي، ليست عوامل كافية لدفع النساء كي يستعملن وسائل منع الحمل (Caldwell & Caldwell, 1982). والعامل التنموي اليتيم الذي أثبت اهميته في التأثير بمعدلات الانجاب في مختلف الدول العربية هو المستوى التعليمي للمرأة (Zurayk, 1987). بالنسبة للبنان، وجدنا ان الاختلافات الجغرافية والزمنية لمعدل الامية بين الاناث كبيرة. أما معدلات مشاركة المرأة في العمل فلم تختلف كثيرا بين عامي 1970 و 1985. ولم تكن اختلافاتها الجغرافية منتظمة أو بيئية، كما ان ارتباطها بالخصوبة والتعليم ليس هاما (Faour, 1986a). من جهة ثانية، ليس مفيدا استخدام التحضر، كعامل للتنمية لتفسير اختلافات الخصوبة بين مدينة بيروت وضاحيتها الجنوبية لأن مستوى التحضر متساوي الاثنى، فضلا عن وجود تفاعل يومي بين المنطقتين في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية. لذا، سنكتفي باستخدام معدل الامية كمؤشر للمرحلة التنموية في كل منطقة لبنانية شملها البحث.

فيما يتعلق بدور خدمات تنظيم الاسرة في التأثير بمستوى الخصوبة في لبنان، فقد اعتبر (Mauldin & Berelson, 1978) و (Lapham & Mauldin, 1985) ان برنامج تنظيم الاسرة في لبنان الذي ترعاه جمعية خاصة ضعيف جدا، وذلك استنادا الى قائمة مفصلة من المقاييس التي تم تطبيقها على برامج تنظيم الاسرة في عدد كبير من دول العالم. وقد قمنا بمقارنة اعداد النساء اللواتي حصلن على موانع الحمل من جمعية تنظيم الاسرة في مختلف المناطق اللبنانية خلال عام 1984 بمجموع النساء اللواتي يستعملن موانع الحمل⁽²⁾، فوجدنا ان النسب متدنية (من 3 الى 10٪) مما يؤكد صحة الاعتقاد لدى الديموغرافيين العالمين بان دور خدمات تنظيم الاسرة في لبنان كمحدد للخصوبة ليس هاما ولا يرقى ابدا الى مستوى اهمية عوامل التنمية. ومن ثم يمكن اسقاط هذا العامل من المحددات الرئيسية للخصوبة

البشرية في لبنان. أما دور الحرب اللبنانية في التأثير بالخصوبة البشرية، ففرضية هذا البحث تقول بأن المناطق اللبنانية التي عانت أكثر من غيرها من ويلات الحرب شهدت انخفاضاً أكبر في معدل المواليد من المناطق الآمنة نسبياً، بصرف النظر عن المستوى الاقتصادي - الاجتماعي لهذه المناطق. وإذا أخذنا دور الحرب والتنمية معاً، فالفرضية تقول أن ارتباطهما بالخصوبة عكسي، فكلما ازدادت معاناة الناس من جراء الحرب في منطقة ما و/أو كلما ارتفع مستواها التنموي، انخفضت فيها الخصوبة.

جدول رقم (1)

افتراضات تأثير الحرب اللبنانية وعوامل التنمية
في معدلات الانجاب

مستوى النماء الاجتماعي 1985				
مرتفع حرب شرسة حرب أقل شراسة		منخفض حرب شرسة حرب أقل شراسة		
انخفاض عال في معدلات الانجاب	انخفاض معتدل في معدلات الانجاب	انخفاض عال في معدلات الانجاب	انخفاض ضئيل في معدلات الانجاب	افتراضات تأثير الحرب

وتأثير الحرب في الخصوبة ناتج، في رأينا، عما فعلته الحرب في خصائص الاسرة وعلاقاتها وقيمها الاجتماعية لاسيما الانجابية. ففي المناطق التي عانت ظروف الحرب القاسية، لاسيما بيروت وضواحيها، تأقلم السكان مع الواقع الجديد باجراء تغييرات هامة في حياتهم الاجتماعية. لقد نشأت اَبان المعارك الطويلة التي قضاها الناس في الاقبية والملاجيء علاقات اجتماعية جديدة تختلف عن العلاقات الاسرية التقليدية. فالمرء وقت الشدة، حين يصبح الموت أمامه قاب قوسين أو أدنى وهو بعيد عن أفراد عشيرته أو أقربائه، يسعى جاهدا في البحث عن جار قريب يشاطره محنته أو يقدم له العون اذا ما حلت به أو بعائلته مصيبة من جراء المعارك كالموت أو الجرح أو المرض، وكم من اناس اصبوا أو قتلوا دون ان يتمكن أقرب أقربائهم من مساعدتهم أو الوصول اليهم، في حين اندفع جيرانهم لمساعدتهم على خير وجه. وفي الامثال اللبنانية: «جار قريب خير من شقيق بعيد».

ان ضعف تأثير العشيرة والاسرة الممتدة على حياة وسلوك الزوجين، في الوقت الذي نمت فيه علاقاتهم الاجتماعية الجديدة مع الجيران، عامل هام قد يساهم في نشوء أو تدعيم

سلوك انجابي جديد يقوم على الاسرة النووية صغيرة الحجم . فالاسرة الممتدة في المشرق العربي عامل اساسي في استمرارية الخصوبة المرتفعة نظرا لتجسيدها التنظيم الاجتماعي الذي يتميز بالقيم المشجعة للانجاب المرتفع (Caldwell & Caldwell, 1982).

وكما اسهمت الحرب في ترعرع هذه العلاقات الجوارية المميزة بين القاطنين في نفس المبنى أو الشارع، دفعت الناس ايضا، لاسيما في بيروت وضواحيها. الى مستوى مرتفع من الذاتية والفردية. فالشعور بخطر الموت المحيق ينعش هذه الصفات لدى الانسان، تماما كما صور القرآن الكريم تصرفات الناس من هول يوم القيامة حين يفر الانسان من أقرب الناس اليه لأن لديه هماً يكفيه : «يوم يفر المرء من اخيه، وامه وابيه، وصاحبه وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» سورة عبس الآية 33 - 37. وروايات الناس ومشاهداتهم تتحدث عن امهات هربن من منازلهن ساعة احتدام المعارك تاركات وراءهن واحدا أو أكثر من أطفالهن، وعن ابناء شبان لم يخاطروا بحياتهم لانقاذ والديهم من الموت. في مثل هذه الساعات العصيبة، يفكر المرء أولا بالحفاظ على حياته هو، وقلة من الناس تخاطر بحياتها لانقاذ الآخرين حتى ولو كان الآخرون أحب الناس اليهم وأقربهم منهم.

في ضوء هذه المتغيرات، يصبح الاولاد العديدون عبئا كبيرا على الوالدين لاسيما اذا كانوا اطفالا. فالاسرة التي لديها عدد كبير من الاطفال يصعب عليها التنقل السريع من منزل الى آخر أو من منطقة تشهد معارك طاحنة الى منطقة أخرى أكثر أمانا. علاوة على ذلك، كانت هناك صعوبة في تأمين الحاجات المعيشية الاساسية في مدينة تنقطع عنها بعض المواد الغذائية والاستهلاكية الضرورية من وقت الى آخر في حين تنتعش السوق السوداء والاسعار الخيالية لهذه السلع.

الخصوبة واختلافاتها الجغرافية

يبين الجدول رقم (2) ان معدل المواليد المنط شهد انخفاضا بين عامي 1970 و 1984، بلغ حده الاقصى في الضاحية الجنوبية (42٪)، بينما كان الانخفاض متقاربا في المناطق الاخرى (بين 23٪ و 27٪). لكن هذا المعدل في عام 1984 كان أدنى في بيروت (17,2 مولودا لكل ألف من السكان) منه في الضاحية (25,5 مولودا لكل ألف من السكان). الفرق في معدل المواليد بين بيروت والضاحية الجنوبية عائد لاختلاف انماط الزواج بينهما بشكل رئيسي، وليس لتباين في مستوى الخصوبة بين المتزوجات. يظهر ذلك جليا عند مقارنة معدلات الخصب الاجمالية للمتزوجات بين المناطق لعام 1984، حيث يتساوى تقريبا معدلا الخصب في بيروت والضاحية (5877 لبيروت و 5970 للضاحية)، كذلك يتساوى تقريبا معدلا البقاع والشمال (7277 للبقاع و 7029 للشمال).

جدول رقم (2)

معدل المواليد الاولي ومعدل المواليد النمط حسب السنة والمنطقة

المنطقة الادارية								
محافظة البقاع		محافظة الشمال		الضاحية الجنوبية		مدينة بيروت	مؤشر الخصوبة	
1984	1970	1984	1970	1984 (*)	1970	1983		1970
28,7	29,8	28,6	30,2	26,6	34,6	19,2	21,4	معدل المواليد الاولي (بالالف)(**)
31,0	40,1	29,3	38,3	25,5	44,1	17,2	23,4	معدل المواليد المنمط (***)
7277	—	7029	—	5970	—	5877	—	معدل الخصب الاجامي للمتزوجات (بالالف)(****)
22,7-		23,5-		42,2-		26,5-		نسبة التغير في معدل المواليد المنمط بين عامي 1984 و 1970 (بالمائة)(*****)

ملاحظة :

(*) نظرا لعدم توفر بيانات عن الضاحية الجنوبية لعام 1970 ، وبما ان الغالبية الساحقة من سكانها هم مهاجرون من محافظتي الجنوب (اكثر من 50 في المائة) والبقاع (اقل من 50 في المائة) ، اعتبر معدل الضاحية مساويا لمتوسط معدلي الجنوب والشمال . ان استخدام الوسط المرجح بدلا من المتوسط الحسابي هو المفضل لو توفرت بصورة دقيقة نسب السكان القادمين من الجنوب والبقاع . لكن المتوسط الحسابي هنا هو تقدير محافظ نظرا لان محافظة الجنوب التي قدم منها أكثر من نصف السكان كانت تنصف في عام 1970 بأعلى معدل للخصوبة بين المناطق وبأدنى مستوى من التطور الاقتصادي والاجتماعي انظر (Central Directorate of Statistics, 1972, vol.II).

(**) عدد المواليد في عام 1970 = عدد السكان في سن صفر مقسوما على احتمال التعمير من سن صفر الى سن 1 وذلك استنادا الى (Courbage & Fargues, 1974:30).

(***) يستند معدل المواليد النمط الى المجتمع النمطي أو المعياري الذي حددته الامم المتحدة كما ورد في المرجع : Shryock & Siegel 1980: 482-484

(****) الفرق بين معدلي الخصب لبيروت والضاحية غير هام احصائيا ، كذلك بالنسبة للفرق بين معدلي الشمال والبقاع ، اما الفرق بين بيروت او الضاحية وكل من البقاع والشمال فهام احصائيا ، وذلك لدى استخدام النسب المثوية للفروقات . فالمعدل في الضاحية مثلا ، ادنى من مثيله في الشمال بـ 50٪ .

(*****) ان الفروقات بين نسب التغير في معدل المواليد النمط بين بيروت والشمال وبين البقاع والشمال وبين بيروت والبقاع كلها غير هامة احصائيا . اما الفرق بين نسبة التغير في الضاحية ونسبتها في كل من بيروت او الشمال او البقاع فهام احصائيا (0.01 level) وذلك باستخدام اختبار Difference of Proportions .

المصدر :

- (1) Central Directorate of Statistics (1972) L'Enquete Par Sondage Sur La Population Active Au Liban, Vol. II. Beirut: Ministry of Planning, Lebanon.
- (2) Zurayk, H., Faour, M. & Awn, S. (1985) "Socioeconomic and Demographic Conditions". pp. 38-68 in H. Zurayk & H. Armenian (Eds.), Beirut 1984: A Population and Health Profile. Beirut: American University.
- (3) مؤسسة الحريري 1985 ، دراسة عن حاجة المناطق اللبنانية للمدارس . بيروت .

المعروف ان معدل الخصب الاجمالي للمتزوجات يتأثر بشكل بارز بنسب استعمال موانع الحمل وبمدى فعالية هذه الموانع . وتشير البيانات في هذا الصدد الى ان نساء الضاحية أكثر استعمالاً لوسائل منع الحمل الفعالة من نساء المناطق الاخرى بالرغم من ان نسبة استعمال الموانع، الفعالة وغير الفعالة معا، في الضاحية هي أدنى من مثيلتها في بيروت (27٪ في الضاحية و 60٪ في بيروت) . لقد بلغت نسبة المتزوجات اللواتي كن يستعملن عام 1985 الحبوب أو اللولب أو التعقيم (45٪) من مجموع المتزوجات في الضاحية بالمقارنة مع (32٪) من مثيلتهن في بيروت و (36٪) في البقاع و (34٪) في الشمال (جدول رقم 3) . هذا يدل على أن الاختلاف في استعمال الموانع بين نساء الضاحية من جهة ونساء المناطق الاخرى، من جهة ثانية، اختلاف جوهري وهام احصائياً . لماذا حدث ذلك في الضاحية دون سائر المناطق؟ ولماذا تتشابه بيروت والضاحية الجنوبية في معدل الخصب الاجمالي للمتزوجات؟ وهل لذلك علاقة بمستواها الاقتصادي والاجتماعي؟

جدول رقم (3)

نسبة النساء المتزوجات اللواتي يستعملن موانع الحمل
في عام 1985 حسب المنطقة الادارية ووسيلة منع الحمل (بالمائة)

وسيلة منع الحمل	بيروت 1984	الضاحية الجنوبية 1985	الشمال 1985	البقاع 1985
لولب	11,9	16,9	11,6	10,9
حبوب	15,4	22,0	20,6	20,1
تعقيم	4,7	6,2	3,8	2,8
حقنة	0,4	0,5	0,5	0,2
العازل الرجالي (كوندوم)	4,0	1,0	1,9	2,4
العد الشهري	14,4	5,8	6,4	6,4
العزل	9,3	2,1	7,9	7,3
موانع اخرى	0,5	1,9	1,2	1,6
جميع الموانع	60,2	56,5	53,8	51,8
عدد النساء	1834	2379	3321	1060

المصدر : مؤسسة الحريري 1985، دراسة عن حاجة المناطق اللبنانية للمدارس . بيروت .
Zurayk, H., Faour, M. & Awn, S. (1985) "Socioeconomic and Demographic Conditions." pp. 38-68 in H. Zurayk & H. Armenian (Eds.), Beirut 1984: A Population and Health Profile. Beirut: American University.

الخصوبة والأمية

لدى استعراض المستوى الاقتصادي - الاجتماعي، الممثل هنا بمعدل الأمية، يتبين لنا ان العاصمة بيروت حافظت على مستواها المتميز عن سائر المناطق، حيث بلغ معدل الأمية بين النساء فيها (29٪) عام 1985، في حين بلغ هذا المعدل في الضاحية والشمال والبقاع (53 و 56 و 63٪)، على التوالي (جدول رقم 4). من جهة ثانية، انخفض معدل الأمية بين النساء بنسب متفاوتة بين المناطق خلال الفترة 1970 - 1985، بالغاحده الأقصى في بيروت (47٪). وقد صنفنا المناطق اللبنانية وفق معدل الأمية بين الاناث للدلالة على المستوى الاجتماعي أو المرحلة التنموية فكانت النتيجة ان بيروت احتلت الموقع الأول في النماء الاجتماعي في حين شغلت الضاحية والشمال والبقاع معا الموقع الثاني والأخير (جدول رقم 4). أي أن الضاحية تتمتع بخصوبة متدنية مساوية لبيروت لكن معدل الأمية فيها أعلى من بيروت بـ(83٪)، وهذا استثناء للعلاقة العكسية التي ظهرت بين المستوى الاجتماعي ومعدل الانجاب، فكيف نفسّر ذلك؟.

جدول رقم (4)

معدل الامية بين الاناث البالغات (20) سنة وما فوق حسب السنة والمنطقة (بالمئة)

المنطقة الادارية				
السنة	بيروت	الضاحية الجنوبية	محافظة الشمال	محافظة البقاع
1970	55٪	88٪	84٪	88٪
1985	29	53	56	63
نسبة التغير بين عامي 1970 و 1985 (بالمائة)	47-	40-	33-	28-
المستوى الاجتماعي استنادا الى معدل الأمية، 1985	مرتفع	منخفض	منخفض	منخفض

ملاحظة :

إذا استخدمنا اختبار Difference of Proportions Test يتبين أن الفرق بين معدل الامية في بيروت عام 1985 ومثيله في كل من المناطق الاخرى هام احصائيا (01 level). الفرق بين الشمال والبقاع غير هام احصائيا (01 level). اما الفرق بين معدلي الضاحية وكل من الشمال والبقاع فهو غير هام احصائيا (01 level). بناء على ذلك يمكن اعتبار المستوى الاجتماعي أو التنموي لبيروت مرتفعا وللضاحية والشمال والبقاع منخفضا.

هناك عامل هام لم نتطرق اليه حتى الآن وهو التغيرات الجذرية في التوزيع الطائفي داخل بعض المناطق اللبنانية من جراء التهجير، وهو الهجرة الداخلية القسرية التي نتج عنها فرز طائفي واضح بفعل الاحداث الدامية منذ عام 1975. ان المناطق التي غطاها مسح الحريري (1985) في الشمال والبقاع لم تشهد تهجيرا واسعا لسكانها الاصليين،⁽³⁾ ومن ثم يمكن اعتبار تأثير التهجير والفرز الطائفي غير مهم في هذه المناطق. بالنسبة لمدينة بيروت، شمل مسح الجامعة الامريكية (1985) السكان المقيمين في الشطرين الغربي والشرقي. أما المهجرون فقد تم استثناءهم بصرف النظر عن مكان اقامتهم الحالية. ورغم ان نسبة المسلمين المقيمين في الشطر الغربي قد ارتفعت منذ عام 1975، الا أن تمثيل العينة للمسيحيين في الشطر الشرقي كافيا، في تقديرنا، لعدم اعتبار عامل التوزيع الطائفي هاما في تأثيره على معدل الانجاب في مدينة بيروت. أما في الضاحية فقد كان التغير في التوزيع الطائفي جذريا، غير ان استخدامنا لمعدلات الانجاب العائدة لسكان الجنوب والبقاع في عام 1970، وهي المناطق التي قدم منها معظم سكان الضاحية الحاليين، يلغي أثر العامل الطائفي في انخفاض معدلات المواليد في الضاحية. وكان متوقعا ان نجد نمطا مختلفا من الخصوبة البشرية في الضاحية استنادا الى مسح الخصوبة عام 1971 (جمعية تنظيم الاسرة، 1974) حيث تبين ان معدل الانجاب لدى الطائفة الشيعية التي تشكل الغالبية الساحقة من سكان الضاحية هو الأعلى بين سائر الطوائف اللبنانية. كيف اذن نفسر هذه الظاهرة المستجدة في الضاحية؟.

الخصوبة والحرب

انطلاقا من الفرضية المطروحة في البحث حول دور الحرب في خفض الخصوبة، ارتأينا ان نقيس حدة العنف في الحرب كعامل محدد لمستوى الخصوبة، فتم جمع عدد القتلى المصرح عنهم في صحيفة «النهار» غير الحزبية خلال الفترة 1975 - 1985⁽⁴⁾، وكذلك عدد القتلى والجرحى والمخطوفين كمؤشرين لشراسة المعارك وعنف القتال. ثم جرى حساب نسبة كل من هذه الأرقام الى عدد السكان المقدر لكل منطقة عام 1980، وهو منتصف الفترة الزمنية 1975 - 1985.

يبين مؤشرا العنف المعتمدان في هذه الدراسة ان الضاحية الجنوبية تحتل الموقع الاول في تجربتها مع العنف ومعاناتها من ويلات الحرب - 26 قتيلا لكل الف من السكان حسب المؤشر الاول و 66 قتيلا وجريحا ومخطوفا لكل الف من السكان حسب المؤشر الثاني - تتبعها مباشرة مدينة بيروت - 19 قتيلا لكل الف من السكان حسب المؤشر الاول و 49 قتيلا وجريحا ومخطوفا لكل الف من السكان حسب المؤشر الثاني -. أما محافظة البقاع فنعمت بالموقع الاكثر امانا - 4 قتلى لكل الف من السكان حسب المؤشر الاول و 12 من القتلى

والجرحي والمخطوفين لكل الف من السكان حسب المؤشر الثاني (جدول رقم 5). بعبارة ثانية، استنادا الى الأهمية الاحصائية لاختلافات المؤشر الثاني للعنف بين المناطق، يمكننا التمييز بين أربع مستويات للعنف : مرتفع جدا، مرتفع، متوسط، ومنخفض. لكن

جدول رقم (5)

مؤشرات حدة العنف في الحرب اللبنانية حسب المنطقة

عدد السكان ومؤشر العنف	مدينة بيروت	الضاحية الجنوبية	محافظة الشمال	محافظة البقاع
عدد السكان المقدر لعام 1980 (بالآلاف) (*)	537	215	536	316
عدد القتلى بين نيسان 1975 ونيسان 1985 (**)	10059	5681	2806	1123
نسبة القتلى للسكان (بالآلاف)	19	26	5	4
عدد القتلى والجرحي والمخطوفين بين 1975 و 1985 (**)	26492	14175	8608	3911
نسبة القتلى والجرحي والمخطوفين لسكان (***) (بالآلاف)	49	66	16	12
حدة العنف	مرتفعة	مرتفعة جدا	متوسطة	منخفضة

(*) احتسبت أعداد السكان لعام 1980 استنادا الى اعدادهم في عام 1970 حسب ما ورد في مسح القوة العاملة والى اعدادهم في عام 1988 حسب النتائج الاحصائية لـ «حملة مساعدات خادام الحرمين الشريفين» المفصلة في :

Faour, M. (In press) "The Demography of Lebanon: A Reappraisal." Middle Eastern Studies. والاستثناء الوحيد هو الضاحية الجنوبية احتسب عدد سكانها عام 1980 انطلاقا من عددهم عام 1988، مع اعتبار معدل النمو السكاني خلال الفترة 1970-1988 مساويا لمتوسط معدلي النمو للبقاع والجنوب، وهي المناطق التي قدم منها معظم سكان الضاحية الحاليين.

(**) المصدر هو جريدة «النهار» للفترة المذكورة.

(***) اذا استخدمنا النسب المئوية للفروقات يتبين ان الفروقات في نسب القتلى والجرحي والمخطوفين هامة بين مختلف المناطق. وعلى هذا الأساس تم تصنيف حدة العنف بالمرتفعة جدا في الضاحية، بالمرتفعة في بيروت، بالمتوسطة في الشمال، وبالمنخفضة في البقاع.

الفرق بين المرتفع جدا والمرتفع، أدنى بكثير من الفرق بين المرتفع والمتوسط. كذلك فإن الفرق بين المتوسط والمنخفض ليس كبيرا وإن كان هاما من الناحية الاحصائية. من هنا، يمكن الحديث عن مستويين رئيسيين للعنف: مرتفع وتمثله الضاحية وبيروت مع فرق هام في حدة العنف بينهما، ومنخفض وتمثله البقاع والشمال مع فرق هام في حدة العنف بينهما. في المستوى المرتفع، War Zone نجد ان بيروت والضاحية لديهما معدل منخفض للخصوبة (معدل الخصب الاجمالي للمتزوجات) رغم الفرق الشاسع في معدل الأمية بين الاناث، مما يدفعنا للقول بان شراسة الحرب في الضاحية الجنوبية التي فاقت بآثارها تلك التي وقعت في بيروت ربما ساهمت في خفض الخصوبة في الضاحية الى المستوى الذي وصلته العاصمة. أي أن دور الحرب أكبر من دور العوامل التنموية عندما تطول مدته وتكون حدته عالية وشراسة المعارك فيه مرتفعة (جدول رقم 6).

جدول رقم (6)

أثر الحرب والتنمية على خصوبة المرأة في لبنان
(معدل الخصب الاجمالي للمتزوجات : مواليد لكل امرأة متزوجة)

مستوى النماء الاجتماعي 1985		
منخفض	مرتفع	شراسة الحرب
الضاحية الجنوبية (5970)		عالية جدا
	بيروت (5877)	عالية
الشمال (7029)		متوسطة
البقاع (7277)		متدنية

أما في المستوى المنخفض للعنف، فنجد البقاع والشمال، حيث الخصوبة مرتفعة دون فرق هام بينهما، لا تختلفان في معدل الأمية بين الاناث وأنما في حدة العنف، وإن كانت الفروقات غير كبيرة. وتفسير ذلك، في رأينا، ان الاختلافات في حدة العنف عندما يكون المستوى العام للعنف منخفضا مثلا (معارك محدودة، قصف مدفعي لمدة قصيرة يتبعه هدنة طويلة، الخ...) لا تؤثر بشكل ملموس في مستوى الخصوبة. فالوضع هنا أشبه بالوضع الأمني العادي في المجتمعات التي لا تعيش حروبا أهلية متواصلة. في هذه الحالة

ترتبط الخصوبة البشرية فقط بالعوامل التنموية. وبما ان العامل التنموي في حالتي البقاع والشمال، وهو معدل الامية، متقارب بين المنطقتين، فان الخصوبة ايضا متقاربة.

وهكذا يمكن الاستنتاج بان دور الحرب في خفض الخصوبة هام فقط في الحالة التي يكون فيها العنف متواصلا لفترة طويلة وشرسا ومدمرا، أما في حالة عدم الاستقرار الأمني الذي تصاحبه معارك متقطعة ذات الأثر التدميري المحدود مع وجود فترات طويلة من الأمان والسلم، فان ارتباط الحرب بالخصوبة غير هام. لكن تأثير الحرب اللبنانية في الخصوبة البشرية واختلافاتها هو اساسا غير مباشر وذلك عن طريق التأثير في عوامل اخرى اقتصادية واجتماعية ونفسية. ورغم غياب الدراسات الاختبارية التي تقيس هذه العوامل، فالمشاهدات والتجارب والتقارير الصحفية التي أوردناها في سياق البحث تلقي بعض الضوء على ذلك. والسؤال الذي يرد في الذهن هنا هو الآتي: هل أثر الحرب الذي درسنه عارض أم دائم؟.

لا شك أن الموضوع قابل للنقاش فأثر الحرب العالمية الثانية في انخفاض الخصوبة في اوربا والولايات المتحدة قد زال بزوال الحرب فعاد الناس الى التزاوج والتكاثر بصورة ملحوظة، وان لسنوات محدودة. لكن انسحاب هذه التجربة العالمية على الوضع اللبناني ليس بالضرورة مؤكداً أو حتى واردا. فامتداد الحرب سنوات عديدة ساهم في نشوء عادات جديدة لها قوة استمرار ترتفع كلما طال أمد الحرب، وكما اعتاد الناس على انقطاع الكهرباء واستبدل كثير منهم خدمات الدولة بمولدات خاصة، واستعاض آخرون عن خطوط التلفون العامة بأجهزة اللاسلكي، كذلك يمكن للأزواج أن يعتادوا على عدد قليل من الاولاد، ويمكن للناس ان يجذبوا زواج البنت في سن متقدمة.

ان مثل هذه التغيرات السلوكية ترتدي طابعا خاصا هو أقرب الى الدوام منه الى العرضية. فإيجابيات الاسرة الصغيرة في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في العالم المعاصر تفوق، في رأينا، ايجابيات الاسرة الكبيرة. ووعي الناس، لاسيما المرأة، مرشح للنمو نظرا لاندفاعها نحو مزيد من التحصيل العلمي العالي واصرارها على مشاركة الرجل في صنع القرارات الاساسية للأسرة، فضلا عن احتكاكها اليومي بوسائل الاعلام العالمية التي تمجد الخصوبة المتدنية والزواج المتأخر وتنبهي الناس عن الخصوبة المرتفعة والزواج المبكر. لكن حسم هذه المسألة لصالح أحد الرأيين ينتظر دراسات ميدانية في المستقبل.

الهوامش

- (1) تم تقويم نوعية البيانات وجودتها بالتفصيل في المصادر التالية :
- Central Directorate of Statistics, 1972: vol.I
 - Courbages & Fargues, 1973.
 - Faour, 1986b
 - Zurayk, Askar et al., 1985.
 - جمعية تنظيم الاسرة في لبنان، 1974، المجلد 1
 - مؤسسة الحريري، 1985
- (2) تم حساب عدد النساء اللواتي يستعملن موانع الحمل بضرب نسبتهن في العينة بعدد السكان المقدر لكل منطقة ادارية استنادا الى مصادر الجدول رقم 5 من هذا البحث.
- (3) للاطلاع على تفاصيل تصميم العينة، انظر Faour, 1986b.
- (4) انظر صحيفة النهار : كافة الاعداد من 13 نيسان 1975 الى 13 نيسان 1985.

المصادر العربية

- جمعية تنظيم الاسرة في لبنان.
- 1974 الاسرة في لبنان : تحقيق احصائي بالعينة، حزيران 1971. المجلدان 1 و 2. بيروت.
- فاعور، م.
- 1985 «أوضاع المرأة اللبنانية بعد عشر سنوات من الحرب». ورقة مقدمة الى ندوة الخبراء حول موقع ودور المرأة العربية في التنمية الوطنية، مكتب العمل الدولي ومعهد الدراسات النسائية في العالم العربي، نيقوسيا - قبرص، 22 - 26 نيسان.
- مؤسسة الحريري
- 1985 دراسة عن حاجة المناطق اللبنانية للمدارس. بيروت.

المصادر الاجنبية

- Bongaarts, J.
- 1985 "The Fertility-Inhibiting Effects of the Intermediate Fertility Variables." pp. 152-169 in F.C. Shorter & H. Zurayk (Eds.), Population Factors in Development Planning in the Middle East. New York: Population Council.
- Caldwell, J. & Caldwell, P.
- 1982 "Fertility Transition with Special Reference to the ECWA Region." pp. 97-118 in Population and Development in the Middle East. Beirut: ECWA.

Central Directorate of Statistics.

1972 L'Enquete Par Sondage Sur La Population Active Au Liban, Vol. I & II. Beirut: Ministry of Planning, Lebanon.

Chamie J.

1981 Religion and Fertility: Arab Christian-Muslim Differentials. London: Cambridge University Press.

Courbage, Y. & Fargues, P.

1973 La Situation Demographique Au Liban, I. Beirut: Librairie Orientale.

1974 La Situation Demographique Au Liban, II. Beirut: Librairie Orientale.

Easterlin, R. & Crimmins, E.

1985 The Fertility Revolution: A Supply-Demand Analysis. Chicago: Chicago University Press.

Faour, M.

1986a. "Fertility Development and Protracted War in Lebanon." Paper presented at the 25th Anniversary Symposium of the Population Studies Center, University of Michigan, Ann Arbor, 12-17 June.

1986b. "Socioeconomic and Demographic Conditions of Lebanon After 10 Years of War." Research proposal submitted to MEAWARDS, Cairo, April 30.

In press. "The Demography of Lebanon: A Reappraisal." Middle Eastern Studies.

Lapham, R. & Mauldin, W.P.

1985 "Contraceptive Prevalence: The Influence of Family Planning Programs." Studies in Family Planning 16, 3 (May/June): 117-137.

Mauldin, W.P. & Berelson, B.

1978 "Conditions of Fertility Decline in Developing Countries, 1965-75." Studies in Family Planning 9, 5 (May): 89-148.

Shryock, H.S. & Siegel, J.S.

1980 The Methods and Materials of Demography, Vol. II. Washington, DC: U.S. Department of Commerce.

Zurayk, H.

1987 "An Overview of the Development of Studies on Fertility." Population Bulletin of ESCWA 13: 32-41.

- Zurayk, H., Ashkar, A., Asad, M., Fahal, S. & Azar, A.
1985 "Introduction and Methodology." pp. 2-35 in H. Zurayk & H. Armenian (Eds.), Beirut 1984: A Population and Health Profile. Beirut: American University.
- Zurayk, H., Faour, M. & Awn, S.
1985 "Socioeconomic and Demographic Conditions." pp. 38-68 in H. Zurayk & H. Armenian (Eds.), Beirut 1984: A Population and Health Profile. Beirut: American University.

الاصدارات الخاصة لمجلة العلوم الاجتماعية

تعلن «مجلة العلوم الاجتماعية» عن توفر الاصدارات الخاصة التالية:

- 1- القرن الهجري الخامس عشر
- 2- العالم العربي والتقسيم الدولي للعمل
- 3- النضج الخلقي عند الناشئة بالكويت
- 4- بياجيه

سعر العدد دينار كويتي واحد

The Impact of War on Lebanese Fertility

Muhammad Faour

In the period 1970-1984, crude birth rates and sex-age adjusted birth rates declined in several areas in Lebanon, but the decline was most pronounced in the southern suburb of Beirut. The relatively low marital fertility of suburban women was due to their distinctive pattern of contraceptive use, as a significantly higher percentage of married women were using efficient methods of contraception in the suburb than any other district, including the capital. Areal variations in female labour force participation, urbanization levels, family planning services, and female illiteracy rates did not explain this result. So an index of the intensity and scale of war was constructed. This index had two distinct levels: high and low, with variations within each level. It was found that where the intensity of war was high, fertility was low, irrespective of the illiteracy level. But at low intensity, fertility was moderate, irrespective of minor variations in the intensity of war. Thus the impact of war on fertility is felt only when the war is protracted, atrocious and highly destructive. Otherwise, socioeconomic factors are the main determinants of fertility.